﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ٨٥﴾ [النّمل: 85]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إحْلالُ العَذابِ عَلى الكُفّارِ بِسَبَبِ الظُّلْمِ والتَّكْذيبِ

لمّا ذكَر اللّهُ سُبْحانه أنَّه يوقِف المُكَذِّبين، ويسألُهم على وجهِ التَّقريع والتَّوبيخ: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، وكان التَّقدير الذي دلَّ عليه سياقُ الكلام أنَّهم أجابوا بما يتبيَّن أنَّهم ظالمون؛ عطفَ عليهِ بِما يدُلُّ على حُلول العذابِ علَيْهِم بقولِه سُبْحانَه: ﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾: (قو) تدلُّ تَصْريفاتُها على النُّطق[2]، وخُصَّ باللَّفظ الموضوعِ لمعنًى، وللكلام على التَّرتيب[3]، ويطلق القولُ على الألفاظ، كما يُطلق على المعنى المتصوَّر في النَّفس بشرطِ تقييدِهِ بذلك، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة: 8]، وإلّا فالقول عِنْدَ الإطلاق ينصرِفُ إلى النُّطْقِ، ومنه إطلاقُ القول على الاعتقاد في القلب، ومن القولِ الوعدُ والاعتناء الصّادق، كقولك: فلانٌ يقول بكذا، وقال اللّه تعالى: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧﴾ [يس: 7][4]. ومعنى: ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾ في آية النَّمْلِ: مضمونُ الوعيدِ، وهو العذابُ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عَجْزُ الظّالِمينَ عَنِ النُّطْقِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الحَقائِقِ

وحقَّ عليهم مضمونُ الوعيدِ، وهو العذابُ بسببِ ظُلْمِهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 221.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قول).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قول).
(4) الراغب، المفردات: (قول).
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 17/ 308، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 221.

وتكذيبِهم، فهُم لا يَقْدِرون على النُّطقِ بِحُجَّةٍ يَدْفَعون بها عن أَنْفُسِهم ما حلَّ بهم مِن سوءِ العذابِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾:

تَوْبيخُهُمْ حالَ إيقاعِ العَذابِ عَلَيْهِمْ زيادَةٌ في التَّهْويلِ

يجوزُ أَن تكونَ الواوُ في قول الله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ واوَ الحالِ، والمعنى: يُقال لهم أكذَّبتم بآياتي، وقَد وقَعَ القولُ عَلَيْهِم[2]، فيكون في هذا المعنى زيادَةُ تهويلٍ وتخويفٍ مِن ذلك المَوْقِف؛ إذ يُقرَّرون، ويوبَّخون حالَ وقوع الأهوالِ عليهم، فيكون التَّوبيخُ هولًا عليهم فوق ما هُم فيهِ مِنْ أهوالٍ.

ويجوز أن تكون الواوُ عاطفةً، فَعُطِفَتِ الجملةُ على الجُمْلة قبلها، وهي قولُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾؛ ليُبنى عليها سببُ وقوع العذابِ، وهو أنَّه واقعٌ عليهم بسببِ ظُلْمِهم، وليُفَرَّع عليهِ قولُهُ: ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾[3].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضي ﴿وَوَقَعَ﴾:

تَأْكيدُ حُلولِ العَذابِ عَلَيْهِمْ عَلى وجْهِ الجَزْمِ والقَطْعِ

على القولِ بأنَّ الواو في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ حاليَّة، يكون التَّعبير بالماضي ﴿وَوَقَعَ﴾ هنا على حَقيقَتِه؛ إذْ قد سبق ذِكْرُهُ في قولِه: ﴿*وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، وأعيد ذِكْرُهُ تعظيمًا لِهَوْلِه[4].

وعلى القولِ بأنَّ الواوَ للعطفِ، يكون التَّعبير عنِ الوُقوع بالفِعْلِ الماضي: ﴿وَوَقَعَ﴾؛ لتأكُّد حلولِ العذابِ عَلَيْهِم ووقوعه، كأنَّه لِلُزوم تحقُّقه صارَ ماضيًا[5]، وهو ما يُشير إلى أنَّهُم حَقيقونَ بِهذا العذابِ.

---

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 384.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 42.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 42.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 42.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 42.

نُكْتَةُ تَكْرارِ فِعْلِ الوُقوعِ:

تَتَجَدَّدُ الشَّدائِدُ بِوُقوعِ الأَهْوالِ هَوْلًا بَعْدَ هَوْلٍ

تكرَّرَ فعلُ الوقوعِ (وَقَعَ) في هذه الآيةِ، مع أنَّهُ قد ذُكِر في الآيةِ قبلُ: ﴿*وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ القولَ أمر مهولٌ؛ إذ قد اشْتَمل على حوادثَ كثيرةٍ، كلَّما تحقَّق شيءٌ منها؛ فقد وقع القولُ، ابتداءً من الحشر، فالسُّؤال إلى آخرِ حوادث الآخرةِ.

ويجوز أن يكونَ المراد بالوقوعِ غير الوقوعِ المُتَقَدِّم، وذلك أنَّ الوقوعَ الأوَّل ورَدَ مَقْرونًا بذِكْرِ الدّابَّة، فيكون القولُ إنذارًا بقُرْبِ وقوعِ العذاب ودُنوِّ حلولِه، بخلاف الوقوعِ الآخر، فقد ذُكِر مقرونًا بمواجهَةِ المُكَذِّبين بجُرْمِهم وجَريرَتِهم، فكان الوقوعُ دالًّا على حلولِ العذابِ بهِم لا دُنوِّهِ.

دِلالَةُ (أل) في ﴿ٱلْقَوْلُ﴾:

بَـيـانُ حَـسْـرَةِ المُكَذِّبينَ بِرُؤْيَةِ تَحَقُّقِ ما وُعِدوا بِهِ

جاء لفظُ ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في قول اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ معرَّفًا باللّام، وهيَ تدلُّ على العَهْدِ، وهو عهدٌ خارجيٌّ صريحيٌّ؛ لتقدُّم ذِكْرِه قبلُ في قول اللهِ سُبْحانه: ﴿*وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، فهذه إحالةٌ إلى قولٍ معلوم، هو التَّوعُّد بالعذابِ للمُكذِّبين، وسيتذكَّر المكذِّبون حينَها ما كانوا يوعَدون، فيكون أدخلَ في تَحَسُّرِهم لعدَمِ الإيمانِ به.

ويجوز أن تكونَ اللّام لِلكمال؛ إذْ هو القولُ حقًّا ولا قولَ بعده[1]، ولا تنافيَ بينَ القَوْلَيْن؛ لأنَّه لا مانِعَ مِن إرادة العهدِ الخارجيِّ الصَّريحيِّ مع إرادةِ الكمالِ.

مَعْنى (عَلى) ودِلالَتُها:

بَـيـانُ شِـدَّةِ العَذابِ ونُفوذِهِ فيهِمْ

آثَر البيانُ القرآنيُّ استعمالَ حرفِ الجرِّ (على) في ﴿عَلَيْهِم﴾، من قولِ اللهِ سُبْحانه: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ﴾، ولم يَرِد في

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 221.

النَّظمِ القرآنيِّ: (وقع القولُ بهم)، وذلك لِما في الحرفِ (على) من مَعنى الاستعلاء[1]، وذلك مفيدٌ أنَّ القولَ نزلَ عليهم مِن فَوْقِهم، كأنَّه شيء محسوسٌ يسقط على رُؤوسِهم[2]، وأشارَ حرفُ الاستعلاءِ أيضًا إلى معنى نُفوذِ القضاءِ فيهم، وأنَّه لا مردَّ لهم منه.

مَعْنى الباءِ في ﴿بِمَا ظَلَمُواْ﴾ ودِلالَتُها:

الانْحِرافُ في الأَقْوالِ والأَعْمالِ والاعْتِقاداتِ ظُلْمٌ يَسْتَحِقُّ صاحِبُهُ عَلَيْهِ العُقوبَةَ

الباءُ في ﴿بِمَا﴾ مِنْ قول الله ﷻ: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ﴾ دالَّة على السَّببيَّة، أي: إنَّ مضمون العذاب الذي وقع عليهم إنَّما كان بسبَبِ الظُّلْمِ الصّادر مِنْهُم، مِن تكذيبٍ بالحَقِّ الذي تكاثرتِ الأدلَّة على صِدْقِه، وما ترتَّب على ذلك مِنَ الضَّلال في الأقوال والأفعال والاعتقادات[3]، وحقيقة الظُّلْم: وضعُ الشَّيء في غيرِ مَوْضِعِه؛ إذ كان الواجبُ عليهم التَّصديق، فاعتاضوا عَن ذلك بالتَّكذيب، وكان المُتَعَيَّنُ عليهم إصلاحَ الأقوال والأعمال والاعتقاداتِ، ولكنَّهم جعلوا بدلَ ذلك ضلالًا وإضلالًا.

مَعْنى الفاءِ ودِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجُمْلَةِ الاسْميَّةِ:

تَصْويرُ كَمالِ وُجومِهِمْ عَنِ الاعْتِذارِ والإنْكارِ

صُدِّرت جملة: ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ بالفاءِ، وهو حرفٌ دالٌّ على التَّفريع، والمَعْنى: أَنَّ القول وقع عليهم وقوعًا يَمْنَعُهم مِن كلامِ الاعتذارِ أو كلامِ الإنْكارِ، فبُهتوا بسبَبِ هَوْلِ العَذاب الذي وقَع عَلَيْهِم وشِدَّته[4].

واختيرَ التَّعبيرُ بالجُمْلَةِ الاسميَّةِ: ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾؛ تأكيدًا على عدَمِ نُطْقِهم بالاعتذار أو الإنكارِ، وللإيماءِ إلى استمرارِ حالتِهم[5]، وهو تَصْويرٌ بديعٌ لكمالِ وُجومِهم وحَيْرَتِهم عَن الرَّدِّ والجوابِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 221.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 17/ 10853.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 168.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 42.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 453.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَنطِقُونَ﴾:

انْقِطاعُ الاعْتِذارِ يَوْمَ القيامَةِ عَنِ الظّالِمينَ

آثر النَّظْمُ القرآنيُّ التَّعْبير بالفعلِ المُضارع المَنْفيِّ ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾؛ للدِّلالةِ عَلى الدَّوام والاسْتِمْرار، والمقصودُ دوامُ النَّفْيِ لا نَفْيُ الدَّوام؛ إذِ المُرادُ أَنَّهم لا يَنْطِقونَ في هذا المَقام البتَّة، فقَد خَرَسَتْ ألسِنَتُهم مِن هَوْل ما رَأَوا، فلا يَجِدون كلامًا يَنْطِقون به[1]، ولا عذرًا يَسْتَتِرونَ مِن ورائِهِ.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾:

انْقِطاعُ الحُجَجِ والأَعْذارِ، وبَقاءُ الإشْفاقِ مِنَ الآثارِ

عَبَّرَ النَّظم القرآنيُّ بنفي النُّطق عَنْهُم وقتها، بقول الله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾؛ وذلك مفيدٌ بالمنطوق انحباسَهم عن النُّطق وُجومًا وخوفًا وإشفاقًا على أنفُسِهم ممّا سَيَحُلُّ بهم، ويُفْهَمُ منه معنًى كنائيٌّ، وهو لازمٌ عنِ المنطوق، وهذا المعنى هو فَقْدُهُم لأيِّ عُذْرٍ وحُجَّةٍ، فَهُم لا ينطقون بحجَّة؛ لانعدامها عندهم[2]، ولا بعذر لأنَّه لا يُقْبَل منهم الاعتذار، قال أبو السُّعود: "﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾؛ لانقطاعِهم عن الجوابِ بالكُلِّيَّةِ وابتلائِهم بشُغلٍ شاغلٍ مِنَ العذابِ الأليمِ"[3].

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10853.
(2) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 4/ 271.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 302.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»